

الأفعال الكلامية في خطابات النبي إبراهيم: مقارنة حجاجية- نماذج مختارة-

Speech Act in The Prophet Abraham's speeches - Argumentative Speech -

ربيعة قويدر¹، د. محمد بشيرباي²

¹ جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية،

rabiaakouider@gmail.com

² جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية،

m.bachirbey@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/11 تاريخ القبول: 2021/12/08 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص:

ارتبطت نظرية أفعال الكلام والحجاج بالتداولية، والمبدأ الأساسي للنظرية أننا عندما نتكلم فنحن بصدد إنجاز أعمال في الواقع، والحجاج عمل هدفه أن يغير وضعاً قائماً، لذلك تمحور هدف البحث حول بيان الفاعلية الحجاجية للأفعال الكلامية متخذاً من خطابات النبي إبراهيم نموذجاً للدراسة.

وخلص البحث أنّ الأفعال الكلامية الموظفة في خطاب النبي إبراهيم لها قوة حجاجية تظهر في الأثر الناتج عن القول، وهذا الأثر يتجلى من خلال ردة الفعل الواقعة أو المفترضة للمتلقي مما ساهم ذلك في تثبيت الحجّة ودحض الافتراءات. الكلمات المفتاحية: أفعال الكلام؛ الحجاج؛ الخطاب؛ التأثير.

Abstract:

The theory of arguments and action verbs have often been linked to pragmatics. The basic principle of the theory is that when speaking, we are performing actions in reality. The objective of the argumentative speech is to inflict change on a present situation, therefore the research's objective revolves around the efficiency of argumentative action verbs in the speeches of Prophet Abraham.

The research concluded that action verbs employed in the prophet's speeches demonstrate an argumentative power that manifest in the apparent results, i.e. reaction of the recipient. Which has contributed to corroborating the argument and refuting the fabrications.

Keywords: speech verbs; argumentative; speech; influence.

مقدمة:

إنّ الموضوعات التي تعالجها التداولية متنوعة ومختلفة، وتعد الأفعال الكلامية من أهم النظريات اللسانية التي طرحتها التداولية، ومن أبرز القضايا اللغوية المرتبطة بميدان الاستعمال والتفاعل الفكري والتواصل الاجتماعي.

وتنطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أنّ الأقوال الصادرة عن المتكلمين ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية انجازية، وأي خطاب أو تواصل أو حوار إلا ويحمل حجاجاً في طياته، وحضور الأفعال الكلامية في الخطاب قد يتضمن بعداً حجاجياً، ذلك أن غاية الأفعال الكلامية هي تحقيق الإنجاز والأثر الواقعي عند المتلقي، وعليه؛ ماهي القيمة التي تجعل من الأفعال الكلامية أفعالاً حجاجية؟ وما هي الأغراض الانشائية والخبرية لتجسد الفعل الكلامي في القرآن الكريم؟ وما دلالة ذلك؟ وكيف تسهم هذه الأخيرة في عملية الاقناع؟.

وعليه نفترض أنّ نظرية الأفعال الكلامية قد تجسدت في الخطاب القرآني بشكل كبير، وتوفرت فيها عناصر الخطاب من مراعاة للسياق وطرفي الخطاب، لتحقيق الغاية التأثيرية الانجازية، وبذلك تكون حجاجية.

ومنهجية البحث، تضمنت الحديث عن نظرية الأفعال الكلامية، ثم تطبيق قواعد هذه النظرية على بعض النماذج الواردة في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام وفق تصنيف (أوستين) و(سيرل) مستعينة بألية التحليل والتأويل التي تستند إلى جميع مكونات الفعل الكلامي (ضوتاً وتركيباً ودلالياً)، وخاتمة البحث عرض لأهم النتائج.

1. تداولية الأفعال الكلامية:

1-1 مفهوم التداولية:

تباينت الآراء والمفاهيم حول تعريف التداولية، ذلك أنّ هذه الأخيرة ذات فضاء مشترك مع فلسفة اللغة ومنطق الحجاج وتحليل الخطاب، وميادين متعددة. و"التداولية لغة من التداول، والتداول تفاعل، وكل تفاعل يلزمه طرفان على أقصى تقدير: مُرسل ومستقبل، متكلم وسماع، أو مستمع، كاتب وقارئ، على معنى أنّ مدار اشتغال التداولية هو مقاصد وغايات المتكلم، وكيف تبلغ مستمعا أو متلقيا"¹ وفي الاصطلاح "فالتداولية pragmatics هي دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language in use، بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية أو تراكيبها النحوية"² ومن المفاهيم الأكثر أهمية للتداولية، مفهوم الفعل، وينتبه إلى أنّ اللغة لا تخدم فقط، لا في البداية، ولا بشكل خاص، تمثيل العالم، بل تخدم إنجاز أفعال³ من خلال عناصر التبادل الكلامي بين المتكلم والسماع والسياق وأثره في تحديد المعنى؛ لما لها من أهمية في تحقيق التواصل⁴ ذلك أنّ التداولية تسعى للإجابة عن أسئلة كثيرة، منها: من يتكلم؟ إلى من يتكلم؟ ماذا نقول حين نتكلم؟ وكيف نتكلم ونريد شيئا آخر؟ وللوقوف على تلك الاجابات وتحديددها وجب فهم الكلام ضمن سياق وروده لا بمعزل عنه، إذ هو الوضعية الملموسة، والتي توضع وتنطق من خلالها مقاصد، تخص المكان، والزمان، وهوية المتكلمين، وكل ما نحن في حاجة إليه، من خلال فهم وتقويم ما يقال⁵ فتحدد قيمة اللفظ تبعا للمعنى الذي يحل إليه، "أي أنّ المعنى كقيمة للملفوظ لا تتحكم فيه اللغة بقدر ما يتحكم فيه مستعملوها"⁶ عن طريق "استثمار الممكن والمتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معيّنة وجعل المعنى بها يعيها ويتحرك في إطار إنجازها"⁷ وعليه فإنّ جوهر التداولية هو دراسة اللغة في الاستعمال والتواصل.

¹ بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص 18

² بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، ص 18.

³ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، ص 7.

⁴ ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 176-177.

⁵ ينظر فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 2.

⁶ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة تداولية، ص 23.

⁷ - محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 175.

2.1. نظرية الأفعال الكلامية:

ولأنّ مدار اشتغال التداولية كانت العناية بالمعنى اللغوي عند الاستعمال الفعلي، فقد شكل هذا المفهوم البعد الجوهرى للتداولية من بين المفاهيم الأخرى والنظريات التي عنيت بها، وتجسد ذلك في نظرية أفعال الكلام التي غدت من الموضوعات الأساسية لللسانيات التداولية.

وفي هذا الشأن يصرح خليفة جارودي أنّ أفعال الكلام هي الفكرة الأولى التي نشأت منها اللسانيات التداولية ومن أهم منطلقاتها التاريخية، حيث ارتبطت اللغة بإنجازها الفعلي في الواقع، بمعنى أن استعمالها ليس فقط فرض في المنطوق اللغوي، بل يجب إدخال الحدث الاجتماعي ليتماشى الإنجاز الكلامي مع وتيرة الواقع⁸ ومبنى هذه النظرية إجمالاً التي وضع أصولها (أوستين)، وأقام بناءها (سورل)، ووسع مجالها (غرايس) و(فان إيميرن) و(خروتندورست)؛ على أنّ الجمل اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وإنّما تؤدي وظائف تختلف باختلاف السياقات والمقامات⁹ وقد شهدت هذه النظرية أطواراً ثلاثة أساسية: "تمييز مستويات مختلفة في الفعل اللغوي"، و"وضع شروط محددة للفعل اللغوي"، و"وضع قواعد خطابية للفعل اللغوي"¹⁰ والفعل الكلامي حسب ما أشار إليه أوستن وسيرل، يعني: التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسّساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثمّ ف(الفعل الكلامي) يُراد به الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة.... فهذه كلها أفعال كلامية¹¹ وتنقسم الأفعال اللغوية في نظر أوستين إلى ثلاثة أقسام، فالمتكلم حال الكلام فإنه ينجز فعلاً في الوقت ذاته، أي سلوك لغوي، حيث أن التلفظ بأي عبارة ينتج عنه ثلاثة أفعال سلوكية "فثمة:

⁸ خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص. 86.

⁹ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 259.

¹⁰ طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، ص 10-11.

¹¹ مسعود صجراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص. 10.

القول الأول: فعل القول في حد ذاته أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللغة ويحمل دلالة معينة.

القول الثاني: القول الفاعل أي الفعل الذي ننجزه أثناء القول ونؤكد به بالقوة البلاغية.

القول الثالث: الفعل التأثري (غير المباشر) أي الأثر غير المباشر الذي نحققه بالفعل¹² ، ففعل القول، وفعل الإنجاز، وفعل التأثير، هو محصلة التلفظ بأي عبارة لغوية حسب أوستين، وتلازم هذه الثلاثة كل فعل كلامي، ولا يمكن استقراءها بمعزل عن السياق الذي ورد فيه الفعل.

وقد فطن أوستن إلى أنّ الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، والفعل التأثري لا يلزم الأفعال جميعها فمهما مالا تأثير له في السامع، فوجه اهتمامه إلى الفعل الإنجازي حتى غدا لبّ هذه النظرية فأصبحت تعرف به أيضا، فتدعى أحيانا النظرية الإنجازية¹³

وتتداخل هذه الأفعال الثلاثة فيما بينها، ولا سيما الفعل الإنجازي والتأثري، فإذا قلت لشخص (الجو بارد) فقد تقصد بهذه الجملة إنجاز فعل (الإخبار) وقد تقصد منها حث المستمع وإثارة انتباهه إلى غلق النافذة أو الشباك مثلا أو إشعال المدفأة، فعندما يقوم المستمع بغلق النافذة أو إشعال المدفأة يكون قد استجاب لقولك وقصدك، ومن هنا يتحقق إنجاز الأفعال الثلاثة، وهنا وجّه عدد من اللغويين الانتقاد لهذا التقسيم؛ إذ أنّه غير حاسم ويشوبه الغموض واللبس، ومن بينهم (سيرل) الذي يرى أنّ الفعل التعبيري كثيرا ما يحمل في داخله غرضا معيناً¹⁴ وهو بذلك يلمح إلى أن فعل القول يمكن أن نستخرج منه فعلا لغويا آخر.

وبسبب هذا التداخل الحاصل، عمد (سيرل) إلى تقسيم هذه الأفعال إلى أربعة أفعال بدلا من ثلاثة، وهي (فعل القول، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثري) فقد أضاف (الفعل القضوي) أي الدلالي، الذي كان جزءا من الفعل القول عند (أوستن)¹⁵ فيكون الفعل القضوي هو مقصود المتكلم من خلال الفعل النطقي.

¹² جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، ص. 100.

¹³ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص. 46.

¹⁴ ينظر: عبد الحق صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، ص. 221.

¹⁵ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص. 75.

ثم ميز (سيرل) بين ما أسماه (الأفعال الإنجازية المباشرة) و(الأفعال الإنجازية غير المباشرة)، فالأفعال الإنجازية المباشرة في نظره هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، أي يكون ما يقوله مطابقاً لما يعنيه، أمّا الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم، مثال ذلك إذا قال رجل لرفيق له على المائدة: هل تناولني الملح فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، وهو مصدر بدليل الاستفهام (هل) لكن الاستفهام غير مراد للمتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: تناولني الملح¹⁶ فيكون مقصود المتكلم غير ما تلفظ به، وتلك الزيادة لا تدل عليها الصيغة التركيبية إذا لم تكن مقصودة للمتكلم، إنما قد يصل إليها المتلقي عبر قرائن سياقية يحللها ويوظفها لإدراك المعاني غير المرادة أو المقصودة. ثم قاما "فان إيميرن" و"خروتندورست" بتوسيع هذه النظرية حتى تشمل الأفعال اللغوية المركبة، فضلاً عن الأفعال اللغوية البسيطة. وقد مكن هذا التوسع لنظرية الأفعال اللغوية من إدراج "الحجاج" في جملة الأفعال اللغوية¹⁷ وبذلك تكون هذه النظرية قد اكتملت معالمها مع إدراج الحجاج كفعل لغوي لا تنفك عنه أفعال الكلام، فيكون الفعل المنطوق، والقول الفاعل، والإنجازي، والتأثيري، أفعال حجاجية في الوقت ذاته.

2. تحليل نماذج لأفعال الكلام من خطابات النبي إبراهيم حجاجيا:

1.2 أفعال الكلام والحجاج:

تعريف الحجاج:

يرد الحجاج في المعاجم على عدة معان منها (الغلبة)، يقال "حاجبت فلانا فحججته أي غلبته بالحجة، والجمع حجج"¹⁸ و"الحجة: البرهان،"¹⁹ وقيل: الحجة مادافع به الخصم. والحج: القصد. وحجّه يحجّه حجاً: قصده.²⁰ والحجة بالضم: الدلالة المبينة للحجة أي المقصد المستقيم الذي يقتضي أحد النقيضين. وهي كلام ينشأ من مقدمات يقينية مركبة

¹⁶ ينظر: محمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50-51.

¹⁷ محمود أحمد نحلة، ص 51.

¹⁸ زكرياء أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، 30/2.

¹⁹ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، 304/1.

²⁰ ينظر: جمال الدين بن منظور، لسان العرب، 226/2-228.

تركيبا صحيحا²¹ فيكون من المعاني المستفادة للحجاج في المعاجم، أنه برهان يقصد إليه المرسل، للتأثير في المتلقي، ويغلبه على رأيه، ويصده عن معتقده، كل ذلك بمسالك وأدلة وبراهين صحيحة، القصد منها تحصيل الاقتناع.

أما اصطلاحا، فيرى طه عبد الرحمان أن " حدّ الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"²² والحجاج عند "فان إيميرن" و"خروتندورست" هو عبارة عن "فعل تكلمي لغوي مركب"، ومعنى ذلك أنّ الحجة فعل تكلمي لغوي مؤلف من أفعال تكلمية فرعية وموجه إلى إثبات أو إبطال دعوة معينة (طه عبد الرحمان) هذه الفرضيات المقدمة في ذلك الموقف الحجاجي هي مشكل الفعل اللغوي²³ ومن هذا المنطلق كان الحجاج شكلا من أشكال التواصل والتخاطب والحوار كونه "ظاهرة اجتماعية وثقافية له علاقة بالاستدلال والمنطق محايت لنظام اللغة الداخلي ومنفتح على العالم الخارجي ومرتبطة بدواعي القول"²⁴ وتكتسب العملية التخاطبية إستراتيجيتها الحجاجية من الأحوال المصاحبة للخطاب فالمتكلم أثناء تخاطبه ينقل تصورات ومدرجاته إلى المستمع قاصدا بذلك إقناعه أو تغيير بعض معارفه وأفكاره وبخاصة ما يظهر فيها اختلاف بينهما فيستعمل خطابا حجاجيا لتلك الغاية "ذلك أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"²⁵ ، وإلى جانب التأثير نجد أيضا الإقناع الذي يلعب دورا جدّ فعّال في العملية الحجاجية إذ "تستعمل إستراتيجية الإقناع من أجل تحقيق أهداف المرسل النفعية"²⁶ ومراعاة السياق وطرفي الخطاب، "كل هذا يلقي بظلاله على اختيارات المرسل لأدواته اللغوية وآلياته الحجاجية، فكل سياق يستلزم خيارات معينة دون غيرها"²⁷ والخطاب الحجاجي هو خطاب لا يتم فيه التواصل إلا بتوافر أطراف هذا التواصل كالمُرسل والمتلقي، وأنّ اللغة أهم أداة تواصلية شائعة عند الإنسان، ومن خلالها يمكن التأثير والتأثر.

²¹ زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 136.

²² طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 226.

²³ محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مصر ص 242.

²⁴ عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص 55.

²⁵ أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، ص 14.

²⁶ الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 445.

²⁷ الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، الشهري، ص 446.

ولتحديد موقع الحجاج ضمن هذه النظرية، فإننا نقول إنّ الحجاج "هو علاقة دلالية ترتبط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاجة، ولكن هذا العمل محكوم بقيود لغوية، فلا بُدّ أن تتوفر في الحجّة ق1 شروط محددة حتّى تؤدي إلى ق2، لذلك فإنّ الحجاج مسجّل في بنية اللغة ذاتها وليس مرتبطا بالمحتوى الخبري للأقوال ولا بمعطيات بلاغية مقامية"²⁸ فالخطاب وسيلة للحجاج، وهو في الوقت نفسه منتهى هذه الوسيلة، هذا ما جعل ديكرويميّز بين نوعين من الأفعال: الفعل الحجاجي المتمثل في حمل الطرف الآخر، بمقتضى إصدار قول ق1، على فهم ق2، وفعل الاستدلال الذي يعرف على أنّه فعل يتوقف تحقيقه على إنتاج ملفوظ²⁹ وانطلاقا من ذلك فإنّ الأفعال اللغوية كما يرى (فان إيمرن وخود تندورست) تسهم بأدوار مختلفة في الحجاج، إذ يضطلع كل منهما بدور محدد في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل أغلب أصناف الفعل التقريريّ، إن لم يكن كلها ليعبّر عن وجهة نظره وليحدّد موقعه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الادعاء، ولتدعيم وجهة نظره أو للتراجع عنها عند اقتناعه بأنّها لم تعد صالحة، كما يعبّر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس النتيجة³⁰ وصولا إلى غاية الحجاج وهي استمالة المتلقي وتحصيل لديه قناعة مؤثرة، فكريا وسلوكيا.

ومن هنا تتحدد حجاجية الأفعال الكلامية في أنها تحدث أثرا في سلوك المتلقي، سواء أكان هذا الأثر نفسيا أم سلوكيا (جسديا) وغايته حمل المتلقي على الإقناع، واتخاذ موقف ما إزاء ما مطروح من محتوى قضوي، فالقصدية لها دور مهم في الخطاب المتضمن للأفعال الكلامية ف" من المعلوم أن للفعل الكلامي وظائف تداولية مرتبطة بقصد المخاطب من أهمها وظيفته الحجاجية التي تزيد من فاعليته الإنجازية التي أرادها له (أوستن) و(سيرل)، ولا سيما تلك المرتبطة بوظيفتين: التأثير والإقناع"³¹ ومفهوم الإنجاز، ونقصد بالإنجاز طبقا للمعنى الأصلي للكلمة، إنجاز الفعل في السياق إمّا بمحاثة لقدرات المتكلمين، (أي معرفتهم

²⁸ طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 259.

²⁹ طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، ص 11.

³⁰ شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ص 360-361.

³¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 482.

والهامهم بالقواعد)، وإمّا بتوجيه إدماج التمرس اللساني³² وعليه إذ أن التمييز الكبير لا يتم أبداً بين اللغة والكلام، ولكن بين الملفوظ، الذي يقصد به ما يقال، والتلفظ، كقول القول، ومن ثم، يعد فعل القول، فعلاً لحضور المتكلم³³ فلا غرابة أن يكون للفعل الكلامي قصدية إقناعية، فالحجاج هو فن الإقناع، والفعل الكلامي هو آلية من الآليات الحجاجية. كما أنّ لظروف الإنجاز دوراً مهماً في بنية الخطاب الحجاجي، وأن المرسل يستعمل الفعل الكلامي المباشر أو غير المباشر لغرض الإنجاز، ولا سيما عندما يريد تبليغ قصدية ما أو هدف ما، لأن هذه القصدية أو الهدف تتجه إلى توجيه المتلقي بعمل ما أو تغيير سلوكه، وغالباً ما تكون الأفعال الكلامية ذات إنجازية مستقبلية³⁴ وإن "غرضها الانجازي هو التعبير عن الموقف النفسي، تعبيراً تتوافر فيه شروط الإخلاص، وليس هذا الصنف اتجاه مطابقة، فالتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات، فكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية"³⁵ ذلك أنّ الأفعال المتوفرة في الملفوظ، غرضها الإنجازي هو التزام المتكلم (بدرجات متفاوتة) بفعل شيء في المستقبل³⁶ ولما كانت الغاية القصوى التي يسعى إليها المحاجج، هي التأثير، فإنّ هذا الغرض هو أحد ثلاثة أفعال يحققها التلفظ بالفعل، ورغم أن (سيرل) لم يول لهذا الأخير أهمية كبيرة، كونه قد يكون الفعل مؤثراً وقد لا يكون، حسب استعداد المتلقي لذلك من عدمه، فإن التأثير في الحجاج هو البعد الجوهرى الذي لا ينفك عنه، بهدف استمالة المتلقي ودفعه لإنجاز شيء في المستقبل.

وبالتالى تتجسد بنية الحجاج في شكل فعل كلامي مؤلف من الفعل النطقي، والفعل القضوي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري _ حسب رؤية (سيرل):
_ فالفعل النطقي في الحجاج يمثل الهيئة التركيبية لما يتلفظ به المتكلم، وبما انتظم من أصوات لغوية داخل تركيب نحوي سليم له دلالة معجمية.

³² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 260.

³³ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 7.

³⁴ فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 7.

³⁵ مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي، ص 136.

³⁶ محمود أحمد نحلة، ص 80.

_ أمّا الفعل القضوي في الحجاج فيمثل مقصد المتكلم من ذلك الفعل النطقي، وهو نيته لإقناع واستمالة المتلقي والتأثير فيه، من خلال دعوى الحجاج ونتيجته، فتصبح بذلك دعوى الحجاج فعلا قضويا.

_ وأمّا الفعل الإنجازي: في الحجاج فيمثل جملة ما يؤديه الفعل النطقي والفعل القضوي من معاني إضافية يتضمنها المعنى الأصلي، وتمثل -غالبا- استنتاجات المتلقي وردود أفعاله الممكنة والمحتملة تجاه دعوى الحجاج، سواء قبولاً أو رفضاً أو حجاجاً عكسياً، فتظهر عند المتلقي في شكل أفعال القبول أو الرفض أو المحاجة العكسية.

_ وأمّا الفعل التأثري، فالبرغم من أن (سيرل) لا يوليه أهمية كبيرة، فالفعل التأثري يكمن فيما تركه الفعل الإنجازي من أثر في المتلقي، والحجاج يهدف إلى التأثير في المتلقي وإقناعه بقضية أو فكرة أو سلوك يظهر في واقعه الفعلي. لذا فأثر الفعل الإنجازي المتمثل في الفعل التأثري هو غاية ما يهدف إليه الحجاج.

وهذا المخطط يقارب بين تقسيمات (سيرل) للأفعال وما يقابلها في الحجاج:

أقسام الفعل الكلامي	مجال الحجاج
الفعل النطقي	ما يتلفظ به المتكلم المحاجج
الفعل القضوي	دعوى ونتيجة الحجاج
الفعل الانجازي	ردود أفعال المتلقي
الفعل التأثري	أثر الحجاج في واقع المتلقي

وإذا صحت هذه المقاربة المفاهيمية بين أقسام الفعل الكلامي عند (سيرل) وبين ما يقابلها في مجال الحجاج، فإنه بالإمكان إبراز بعض تصنيفات الأفعال الكلامية قياساً بمكونات الحجاج. لقد صنف (سيرل) الأفعال الكلامية إلى: الإخباريات، والتوجيهات، والالتزامات والتعابيريات، والإعلانيات. وبالنظر إلى طبيعة الحجاج وإلى بنيته العامة وإلى الآليات التي يعتمد عليها المتكلم في الحجاج، ومقصده من ذلك، يمكن القول أن أكثر وأبرز الأفعال الكلامية الواردة في الحجاج تتمثل في التوجيهات والالتزامات، نظراً لغرضها الإنجازي المرتبط في الحجاج بردود أفعال المتلقي³⁷

³⁷ حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، ص 107-108.

فالأفعال الالتزامية تستعمل للتعبير عن قبول وجهة النظر أو الرغبة في الحجاج من عدمه، وفي تدعيم موقف المرسل الذي اتّخذهُ لقبول التحدي والدفاع عن موقفه، وتستعمل كذلك للتعبير عن الموافقة على مناصرة الدعوى أو معاداتها، واتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه.

أما الأفعال التوجيهية فلا يستعمل المرسل جميع أصنافها، وذلك لطبيعتها التي تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش، إذ لا يتطلب السياق استعمال بعض الأنواع منها، مثل الأوامر وأفعال التحريم؛ ولذلك يقتصر استعمال المرسل على البعض منها، مثل التحدي للدفاع عن وجهة النظر أو طلب الحجاج.³⁸

2.2: تحليل نماذج للأفعال الكلامية في خطابات النبي ابراهيم مقاربة حجاجية :

وسنطبق ما سبق تناوله في نظرية أفعال الكلام والحجاج على نماذج خطابات إبراهيم التي يسعى فيها إلى الإقناع، من خلال اعتماده لغة الحجاج التي تخضع إلى مخاطبين من مستويات مختلفة، والتي وردت في سور مختلفة من القرآن الكريم (سياقات مختلفة)، والقرآن الكريم باعتباره نص تأثيري فإنه لا يفصح عن معانيه الضمنية، إلا من خلال السياق، وهذا بالتحديد ما يتجسد في نظرية الأفعال الكلامية.

أولاً: قصة إبراهيم مع الملك:

قال تعالى: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَىٰ الذِّى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (البقر، 258) تحكي الآيات حواراً بين إبراهيم عليه السلام وملك في أيامه يجادله في الله، أعرض السياق عن ذكر اسمه، ويعرض الحديث على النبي ﷺ والجماعة المؤمنة في أسلوب التعجيب من المجادل³⁹. طريقة عرض الأفعال: استعانت القصة بجملة من الأفعال الكلامية هي: الاستفهام، الإنكار، الأمر، الإخبار، التقرير، التعجيب، الادعاء، والتعجيز.⁴⁰

³⁸ عبد الله الهادي ظافر الشهري، ص 483.

³⁹ -محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن، ص 169.

⁴⁰ سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير، ص 34.

1_ الاستفهام والتعجب:

في قوله تعالى: "ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه" فالاستفهام في همزة (ألم) وبه يعبر عن فعل كلامي متضمن في القول هو إنكار النفي، وتقدير المنفي، والتعجب: (ألم تر)، أي ألم تنظر؟ سؤال تعليم وتعجيب⁴¹ وإنّ المحاج عمد إلى الاستفهام، فعارض حجته بمثلها. أو أتى على الحجة بما يبطلها، أو أظهر المغالبة في الحجّة وظاهر الضمير في آتاه عائد على حاج⁴² كأنه لما أعطاه الله الملك قام يحاجج "ولمّا كان هذا المحاج بعيداً من الصواب كثير الحجاب أشار إلى بعده بحرف الغاية (إلى الذي حاج إبراهيم)"⁴³ وفي قوله (إذ قال) ظرف لحاج، وقد دلّ هذا على أنّ إبراهيم هو الذي بدأ بالدعوة إلى التوحيد واحتجّ بحجّة واضحة يدركها كل عاقل وهي أنّ الربّ الحق هو الذي يعي ويميت، فلذلك ابتدأ إبراهيم بدلالة عجز الناس عن إحياء الأموات⁴⁴ واستناداً لنظرية الأفعال الكلامية، فقد جسدت الهيئة التركيبية لما تلفظ به المتكلم المحاجج وبما انتظم من أصوات داخل تركيب نحوي سليم الفعل النطقي.

_ **الفعل القضوي:** واختصّ إبراهيم من آيات الله بالإحياء والإماتة لأنهما أبداع آيات الله وأشهرها وأدلّها على تمكن القدرة،⁴⁵ وهي تمثل دعوى الحجاج، ف "أول ما ينصب عليه اهتمام المرسل هو البصر بالحجة، وهو حسن تدبير والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى حتى يسدّ المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذاً إلى استضعاف الحجة والخروج عن دائرة فعلها، فيختار المرسل من الحجج ما يناسب السياق ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها عقل المرسل إليه"⁴⁶ وإنّ الإنكار والاستنكار لينطلقان من بنائه اللفظي وبنائه المعنوي سواء، فالفعلة المنكرة أن يأتي الحجاج والجدال بسبب النعمة والعطاء وأن يدعي العبد لنفسه ماهو من اختصاص الرب⁴⁷ وقوله (ربي الذي يعي ويميت) مبتدأ وخبر، وفيه إشارة إلى أنه هو الذي أوجد الكافر، ويحييه ويميته، وفيه

⁴¹ محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي)، البحر المحيط، 2/298.

⁴² برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر القياقي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 4/48.

⁴³ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، 3/32.

⁴⁴ محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي)، البحر المحيط، 2/299.

⁴⁵ عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 457.

⁴⁶ ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، 3/31.

⁴⁷ سيد قطب، في ظلال القرآن، 1/297.

دليل على الاختصاص لأنّ الخبر إذا كان يمثل هذا دلّ على الاختصاص⁴⁸ ويعد الاستفهام من الوسائل الحجاجية المهمة التي تحفز المتلقي، ويمكن من خلاله معرفة الموقف ضمناً أو علناً بقرائن السياق⁴⁹ ودعوى الحجاج التي أقامها المتكلم على المتلقي قصد استمالاته استعان في ذلك بأسلوب الاستفهام، ليلقي إليه الحجة في أفطع تشنيع وإنكار عليه، مخاطباً بذلك حس المتلقي ووجدانه.

_ **فعل الإنجاز:** فالاستفهام حمل تعجبا وإنكار في أن يخاصم على وجود الله والاقرار بوحدانيته، وقد كان لها وقعها في تحديد الدرجة الانجازية للفعل الكلامي الموجه في حالة تبعث على مراجعة المعتقد وتبين فساد، فالمرسل هنا لا يريد الفهم بقدر ما يريد إفهام المتلقي بفكرته ومنه ينطلق في تبليغ خطابه، لذا فالاستفهام ملفوظ إنجازي ضمن المتداول في حيز الفعل الإنساني، وتطلب هذا الحوار وجود الصيغة الاستفهامية لإقامة الحجة، وقد كانت ممزوجة بالصدق والنصح من قبل المتكلم، فهو يسعى إلى إنجاز فعل إقناعي، بتوسله أسلوب الاستفهام، فالجمهور يعتقد شيئاً، والمرسل يصوغ ما يريد إقناعهم به عن طريق الاستفهام⁵⁰ إذ يدخل الاستفهام ضمن وسائل الحجاج؛ لأنه يذكر المتلقي بالجواب أو يجعله يبحث عنه، ولأنّ الاستفهام يلزم المتلقي بقبول النتيجة أو المفهوم الدلالي لها من خلال الإقرار، فقوة الخطاب الحجاجي تأتي من كونه يفرض على المتلقي نمطاً معيناً من النتائج مقراً إياها بوصفها الاتجاه الوحيد الذي يسير فيه المتلقي⁵¹ وتزداد قوة الاستفهام إذا كان خارجاً عن أصله، فقد أضاف معانٍ ثانوية، كان لها وقع إنجازي على المتلقي من خلال ردود أفعاله الممكنة والمحتملة، على حجة نبي الله إبراهيم، وقد قابله بحجاج عكسي، وكأنه إشارة ضمنية لفرض دعوته.

_ **فعل التأثير:** وقد حقق حضور الهمزة مع (ألم تر) دلالة قوية، فالاستفهام ليس بحاجة إلى إثبات الجواب المنتظر، وإنما هو الإقرار بوجود إله، إذ كيف يحاج في ربه وقد أتاه الملك؟ فقد يكون ذلك "من باب العكس في الكلام بمعنى أنه وضع المحاجة وضع الشك

⁴⁸ ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 299/2.

⁴⁹ ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص 141.

⁵⁰ ينظر: ابن رشد، تلخيص كتاب الجدل، تح: تشارل بيرون - أحمد عبد المجيد هريدي، ص 199.

⁵¹ ينظر: سامية الدريدي ص 23.

والحالة تهكمية كما تقول: عاداني فلان لأنني أحسنت إليه"⁵² وهنا يتجلى ما تركه الفعل الإنجازي من أثر في المتلقي، وكان له أثر فكري دفعه النمرد، قاده ذلك إلى ادعاء ما ليس له، طغيانا وعنادا.

2_ الادعاء: في قوله تعالى: "أنا أحيي وأميت"، وهي بيان لحاجّ التقدير: حاجّ إبراهيم قال أنا أحيي وأميت حين قال له إبراهيم (ربي الذي يحيي ويميت)، يريد أعفو عن القتل وأقتل، ولكن إبراهيم لما سمع جوابه الأحقق لم يحاجه فيه، وانتقل إلى مالا يقدر فيه⁵³ حيث عارض اللفظ بمثله ولم يتدبر اختلاف الوصفين، ذكر له مالا يمكن أن يدعيه أو يغالط فيه⁵⁴ والذي جراه على المحاجة في أمر ظاهر مجمع عليه، لما ألفه من ذلّ الناس له وطواعيتهم لجبروته⁵⁵ وأنّ الادعاء حصل بعد أن سبق سؤال من إبراهيم للكافر. وإلا فلا يبدأ الكلام بهذا⁵⁶ وهنا يتحول المتلقي إلى دور المتكلم، وي طرح معارضة حاججية من بنية ما ألقى عليه، وهذا يدل على أن المتلقي لم يكن على قدر عال من الفهم ليستوعب الحجة، وإلا ما معارضته إلا دليل على حمقه. ومراعاة لحال المتلقي أعرض إبراهيم عن مجاراته في دعوته المزعومة، إلى دعوى تفحمه. وهذا هو منطوق الفعل.

_ الفعل القضوي: جاء بمغالطة عن جهل أو غرور في الإحياء والإماتة إذ زعم أنه يعتمد إلى من حكم عليه بالموت فيعفو عنه، وإلى بريء فيقتله، أو أن يكون مراده أنّ الإحياء والإماتة من فعله هو لأنّ أمرهما مخفي لا يقوم عليه برهان محسوس⁵⁷ ولم يقل أنا الذي يحيي ويميت، لأنّه كان يدلّ على الاختصاص، وكان الحسن يكذبه، إذ قد حيي ناس قبل وجوده وماتوا، وإنما أراد أن هذا الوصف الذي ادعت فيه الاختصاص لربك، ليس كذلك بل أنا مشارك في ذلك⁵⁸ فالمتلقي يدّعي شيئا كذبا، أو غرورا كونه ملك، إذ بإمكانه أن يحيي ويميت مجازا بإسناد الفعل إليه، لا على الابتداء أو الحقيقة، وهو يعتقد بذلك ويدرك أن المتكلم لا يخفى عليه ذلك، ولا يصدق، لأنه جاء بحجة باطلة.

⁵² شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 23/3.

⁵³ محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 489/1.

⁵⁴ محمد بن يوسف، البحر المحيط، 300/2.

⁵⁵ ينظر: برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 50/4.

⁵⁶ ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 299/2.

⁵⁷ ينظر: يوسف بن محمد، البحر المحيط، 299/2.

⁵⁸ ينظر: الطاهر بن عاشور، 33/3.

_ **فعل الإنجاز:** أضفى الادعاء بعدا حجاجيا بوصفه قاعدة للإنجاز، وتتجلى قوته الانجازية بالحدث السلوكي المتحقق أو الذي سيتحقق من المتلقي، فالادعاء يقتضي فعل المدعى به وتطبيقه إذا كان صادقا في دعوته، وعجزه عن تنفيذه دلالة على استحالاته، وهذا الاقتناع المتولد يدركه المتكلم، غير أنه قصد إلى أن يقر به الملك ليبني عليه حجة أخرى، وليكون حجة عليه (أي على الملك) لا له، أي أن إدعاء الإحياء والإماتة جاءت بأثر عكسي على المدعي الذي هو النمرود، وهي حجة ملزمة لنتيجتها العجز عن فعل الادعاء، وبذلك أدى فعل الإنجاز للادعاء فاعلية حجاجية ساهمت في تثبيت دعوى المتكلم وتعزيزها.

- **فعل الأثر:** ورغم أن المتكلم تدرج في عرض الحجج وفق سلم حجاجي، مراعاة لحال المتلقي الكافر، وإلقاءها بطريقة الاستفهام لا لتلقي الجواب بل للتبكي، إلا أن استجابة المتلقي تراوح مكانها لعدم قدرته على ردها، مع استمرار كفره وعصيانته ولجأه باطلا.

3_ **الأمر:** في قوله تعالى: (فات بها من المغرب)، ويتضمن هذا الأمر فعلا كلاميا مباشرا هو التعجيز. ولما كان من حسن الاحتجاج ترك المرء والمتابعة كما قال تعالى "ولا تمار فيهم إلا مرأ ظاهرا"، (الكهف: 21). نقل المحاج من الحجّة الواقعة في الأنفس إلى الحجّة الواقعة في الآفاق بأعظم كواكبها الشمس، ففي ظاهر الاحتجاج انتقال وفي طيه تقرير للحجّة الأولى وهي الإحياء والإماتة، فجاء ب (الفاء) الرابطة بين الكلامين إشعارا لتتمة الحجّة الأولى بالثانية⁵⁹ وهذا هو منطوق الفعل.

_ **الفعل القضوي:** أردفه بحجة ثانية، فحاجة من وجهين، وكان ذلك قصد قطع الحاجة، لا عجزا عن نصره الحجّة الأولى (وانتقل إلى ما هو واضح عنده وعند غيره، وذكر الشمس، ذلك أن القوم كانوا يعظمونها فأشار إلى أنها لله عز وجلّ مقهورة، ولم يقل فإنّ ربي يأتي بالشمس ليبين لهم أن إله العالم كلهم هو ربه الذي يعبدونه، ولأنّ العالم يسلمون أنه لا يأتي بها من المشرق إلا إلههم، ومجيء الفاء في (فإن) يدل على جملة محذوفة قبلها، إذ لو كانت هي المحكية لم تدخل الفاء، والتقدير قال إبراهيم: إن زعمت ذلك أو موهت بذلك، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق والباء للتعديّة⁶⁰

⁵⁹ أبو حيان الأندلسي، 300/2.

⁶⁰ ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 300/2.

ـ **فعل الإنجاز:** وهو العجز عن ذلك. والأمر هنا قد جانب الاستعلاء، وفارق حقيقته ليحقق مقصود المتكلم، وهنا يبدأ التأثير والإقناع، ف"فعل الأمر فعل كلامي مباشر ترتبط دلالته بالقول، ويشكل بذلك قوة إنجازية ترتبط بذلك القول"⁶¹ وهنا تظهر حجاجية الفعل الإنجازي لما أضافه من معان ثانوية لم يتضمنها المعنى الأصلي، ففي الظاهر احتجاج وفي طيه تقرير للأول، لأنّ الروح شمس البدن فكأنه ضرب مثل من حيث أنّ الإحياء إنما هو أن يؤتى بشمس الروح من حيث غربت فكان في ظاهر واستقبال حجة قاطعة باطنه تتميم للحجة الأولى، وأنّ الله الذي أوجد الشمس قبل أن توجد أنت بدهور من (المشرق) فأت بها أنت ولو يوماً واحداً من (المغرب)، فيكون بذلك قد حمل المتلقي على القيام بأمر معين يمثل واقعا ذهنيا متحققا، تعتبر بمثابة حجة ملزمة. وقد فرض إبراهيم سيطرته على ذهن الملك بهذه الأفعال الانجازية والحجاجية فهي "ترتبط بما يؤول إلى أفعال داخل الحياة الاجتماعية بدوافع عقلية لأنّ الاقتناع والتوافق إنما يؤولان إلى الالتزام بالفعل أو الإقرار به"⁶² والامتثال والتنفيذ لهذا الأمر أصبح حجة عليه.

ـ **فعل التأثير:** يسمي أوستن فعل الأمر ب(الفعل القولي) وذلك لأنه يهدف بالأساس إلى صياغة مواقع جديدة بحضور طرفي الخطاب في الزمان والمكان، ويرتبط الأمر بردة فعل المتلقي⁶³ وقد أفصح إبراهيم في إرغام خصمه وحمله على التسليم وإن لم يقر بالحق، غلبه بالحجة البينة، أبكمته أن يعارضها بحجة أخرى، ليأتي قوله (فهيّت الذي كفر) كاشفة عن خضوع المجادل واستسلامه وهو فعل مصرح به (فهيّت) فلم يستطع دفع تلك الحجج التي فاجأه بها.⁶⁴ فأخبر الله تعالى أن من كان بهذه الصفة من الظلم لا يهديه الله إلى اتباع الحق، مثل هذا محتوم له عدم الهداية، مختوم له بالكفر⁶⁵ وبذلك علم أن الأثر الذي نتج عن الفعل هو الطبع على الكفر، كما أخبر الحق سبحانه، وهنا نرى أن الفعل التأثيري قد يؤثر وقد لا يؤثر، ولأن الحوار وإن كان بين طرفين فهو عام للزمان والمكان ويسع جميع المخاطبين.

⁶¹ أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة الوظيفي، ص 174.

⁶² عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص 91.

⁶³ ينظر: سامية الدريدي، ص 147.

⁶⁴ البقاعي، 206/12.

⁶⁵ محمد بن يوسف، البحر المحيط، 300/2.

ويتأكد ذلك باستخدام الاستراتيجية الحجاجية: فقد توجه إبراهيم عليه السلام إلى مخاطبه قصد إقناعه، فوظف حججا لم تكن على درجة واحدة بل تفاوتت وفق مفهوم السلالم الحجاجية، بحيث نجد توظيف ترتيب حجاجي كآلية للإقناع، إذ تدرج معه وانتقل من حجة إلى حجة أخرى أقوى وأوضح.⁶⁶ وإن هذا الفعل التأثيري الناتج الذي تضافرت في تحقيقه الأفعال السلوكية وأغراضها الحجاجية هو أثر مشترك للأفعال السلوكية التي حوّاها الخطاب (الاستفهام، الإنكار، الأمر، الإخبار، التقرير، التعجيب، الادعاء، والتعجيز)، كونها كانت حجة منطقية تسلسلية، حققتها مجموعة أفعال.

حجاج إبراهيم لأبيه: قال تعالى: ﴿يَتَّابِتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۝ يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۝ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۝ قَالَ أَرَأَيْتُ إِنْ يَتَّبِعْكَ رَبُّكَ فَتَرْجُمَكَ وَأَهْجُرْكَ مَلِيًّا ۝ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۝ وَأَعِزَّنِي لَهُ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۝﴾ (مريم: 43-48).

وقد تضمن الحوار جملة من الأفعال الكلامية: المدح، الإخبار، النداء، الاستفهام، الأمر، النهي، القسم، التوكيد، والشرط. التحذير.

1 _ المدح: "واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا" هذا هو الفعل النطقي: أخبر الله عن صفات إبراهيم عليه السلام الذي وصفه بالصديق، لفرط صدقه في امتثال ما يكلفه الله تعالى وهو من أبنية المبالغة، أي كثير الصدق، والصدق عرفه في اللسان ويقابله الكذب، وقد يستعمل في الأفعال والخلق، فوصف إبراهيم بالصدق على العموم في أقواله وأفعاله، وكان بليغا في الصدق، لأن ملاك أمر النبوة الصدق، ومصدق الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك و(صديقا نبيا) أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات⁶⁷ فمنطوق الفعل وصف لصديقية إبراهيم الذي سيكون هو صاحب الدعوى المحاجج.

⁶⁶ -محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن، ص 169.

⁶⁷ سيد قطب، في ظلال القرآن، ص 2313.

⁶⁸ ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 182/6.

الفعل القضوي: فالمتحدث عنه هو النبي إبراهيم، صدر الحوار بالحديث عنه وتزكيته، لئلا يكون مظنة للشك، وحتى يطمئن المتلقي، إذ من شروط الحجة المثبتة أن يكون المتكلم صادقاً في دعواه، ويشكل الفعل القضوي دعوى الحجاج التي ينشئها المتكلم طلباً لاستمالة المتلقي والتأثير فيه، فكانت قضية الصديق دعوى هذه العملية الفعلية. ثم علل تشريفه بذكره له على سبيل التأكيد المعنوي بالاعتراض بين البديل والمبدل منه، واللفظي ب(إن) بقوله منها على أن مخالفتهم له بالشرك والاستقسام بالألزام ونحو ذلك تكذيباً بأوصافه الحسنة والصديق لا يكون كذلك إلا وهو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص⁶⁹ **فعل** (الانجاز ويؤكد الخبر في هذه الآية (إنّ)، لزيادة حجم الاقتناع، وتظهر حاجية الفعل هنا بناء على ردود المتلقي وأفعاله الممكنة والمحتملة، قبولاً أو رفضاً أو حجاجاً عكسياً، فهو يحمل دعوى توجيهية للمتلقي ونتيجتها تحصيل الاقتناع، وقد كان للمتلقي ردود فعل يكشف عنها تنمة الحوار.

فعل التأثير: والأثر الناتج عن هذا الفعل غير مباشر، فالأثر الذي يروم المتكلم من المتلقي انجازه هو قبول نبوة إبراهيم الصديق اعتقاداً، وبعد ذلك التسليم لمضمونها فعلاً. وللمدح طاقة حاجية فاعلة، لما له من قوة على الترغيب في الإقدام أو التحلي بالشيء الممدوح، إذ أنّ ذلك يولد شعوراً بالارتياح والاطمئنان لدى المتلقي، فيكون مدعاة لاستمالاته، ومن ثمة يصل إلى غايته وهي الإقناع والاقتناع بما يعرض عليه.

2_ **النهي:** في قوله تعالى: "يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً"، ويتضمن **فعل القول** هذا مدخل الحوار بين الابن ووالده بعدما استفتحه بالنداء (يا أبت)، متضمنة حجة محسوسة. تبدأ محاجة إبراهيم أباه بإلقاء الحجة في صورة استفهام، وفيه لفت للنظر العميق يبعث على الشك والبحث، ومن هنا أشار العلماء "وأجمعوا على أنّ النهي يقتضي الفور"⁷⁰ أي السرعة في التنفيذ. وقوله (يا أبت) تُلطف واستدعاء بالنسب، واستفهام إبراهيم عليه السلام عن السبب الحامل لأبيه على عبادة الصنم، وهو منتف عنه السمع والبصر والاغناء عنه (شيئاً) تنبهاً على شناعة الرأي، وقبحه، وفساده في عبادة من

⁶⁹ ينظر: برهان الدين أبي الحسن، نظم الدرر، 206/12.

⁷⁰ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص 154.

انتفت عنه هذه الأوصاف، (وما لا يسمع) الظاهر أنها موصوله، وقد تكون نكر موصوفة، ومعمول (يسمع ويبصر) منسي ولا ينوي، أي ما ليس به استماع ولا إبصار⁷¹

الفعل القضوي: وكان مقصود فعل القول على لسان المتكلم، نفي هاتين الصفتين دون تقييد بمتعلق⁷²، لقد أقام إبراهيم على أبيه حجة ظاهرة محسوسة، مستفهما عن ذلك، واتخذ إبراهيم من ماهية الأصنام ومن التعريف بحقيقتها حجة على عدم امتلاكها مؤهلات الألوهية وعدم استحقاقها العبادة (لا تسمع، لا تبصر، لا تغن شيئاً). وتسمى هذه العملية الاستدلال بالتعريف⁷³ وهو "أن يتخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى، وذلك بأن يتخذ المجادل من حقيقة الأصنام دليلاً يثبت على أنها لا تصلح أن تكون معبوداً أو أن يتخذ من بيان صفات الله دليلاً على أن يكون الله وحده المستحق للعبادة"⁷⁴ فالنهي يحمل دعوى توجيهية للمتلقى، وبالنتيجة اقتناعه بهذه الدعوة.

فعل الإنجاز: فيكون الغرض الانجازي هنا بعد النهي عن عبادة الأصنام الامتنال لذلك والأتیان بضده هو تحقيق التوحيد، إذ أن دائرة النهي تقتضي إبطال شيء وفي المقابل الحث على ملأه بنقيضه، فيكون لدينا فاضل ومفضل. وتتحقق صيغة النهي الانجازية بصيغة (لا تفعل) وأن التعامل مع هذه البنية يستدعي حضور حالة شعورية وذهنية تبدأ فاعليتها من منطقة (الإثبات) لأن الكف فعل يحصل بشغل النفس ضد المنهي عنه، فالمرسل لا ينهي المتلقي إلا إذا وجد عنده القدرة على الإنجاز⁷⁵ إذ تؤسس صيغة النهي فضاء للكف عن الركون إلى عبادة الأصنام واتخاذها إلهاً، بعد تبصر مآلات النهي، وإن إرفاق الخطاب بنفي صفتي (السمع والبصر) الذي هو هيئة توحى بالضعف والعجز نتيجته (لا تغني)، قد ساهم في تعزيز الحجة ودعمها، لأنّ الحالين قد أسسا هيئة مؤكدة للأصنام لا تنفك عنها.

⁷¹ -ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 182/6.

⁷² ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 182/6.

⁷³ سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، ص 55.

⁷⁴ محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، ص 169.

⁷⁵ ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ص 297.

ـ **فعل التأثير:** أما استجابة المتلقي فلم يفصح عنها بسلوك مباشر، كون الخطاب لا زال قائما من المتكلم، غير أن سياق الكلام يكشف لنا عن عدم استجابة آزر لدعوة إبراهيم ومعاندته ومكابرته، والدليل على ذلك استمراره في سرد الحجج، واستمرار آزر في اتخاذ هيئة المستمع الذي يطلب مزيدا من الحجج، لعلها تحصل لديه الاقتناع بدعوى الابن.

3_ **الأمر:** في قوله تعالى: "يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعي أهدك صراطا سويا"، والفعل هنا (فاتبعني)، وتسلسل إبراهيم بالحجج وذلك لدفع ما يمكن أن يخالج عقل أبيه وينفره عن تلقي الرشاد، حيث فرع أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم، وتأمل كيف كان المتكلم مراعيًا لحال المتلقي، فلم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال إنَّ معي طائفة من العلم ليست معك على سبيل التبويض، وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه⁷⁶ وهي حجة مدعمة لدعوته فإذا كان قد اعتمد في الحجة الأولى على المخاطب باعتبار أنه بيده انجاح العملية الحجاجية بقيامه بفعل الرؤية والاستنتاج، فإنه في الحجة الثانية اعتمد على المخاطب ومنزلته العلمية المستمدة من الوحي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية التي تسهم في رفع ذات المرسل إلى أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب عند التلفظ بخطاب ذي بعد سلطوي في أصله، عندها يتبوأ المرسل بخطابه مكانا عليا، وبالتالي تصبح السلطة هي سلطة الخطاب الذي يتوارى المرسل وراءه⁷⁷ فاتبعني أي فتسبب عن ذلك أني أقول لك وجوبا على النهي عن المنكر ونصيحة لما لك علي من الحق⁷⁸ ـ **الفعل القضوي:** إنَّ التقرير الذي يحمله خبر: "إني قد جاءني من العلم ما لم ياتك" يدخل في إطار ما يسمى بقانون الإخبارية الذي عزفه ديكرو أنه "الشرط الذي يخضع له الكلام والذي هدفه إخبار السامع، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه"⁷⁹ لذلك فإننا نقف هنا على خبر النبوة وهو يصل إلى الأب ولم يكن من قبل يعلم أن ابنه اصطفاه الله نبيا، فلعب الإخبار بذلك دورا حجاجيا.

⁷⁶ ينظر: طاهر بن عاشور، 114/16.

⁷⁷ عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 537.

⁷⁸ برهان الدين البقاعي، نظم الدرر، 205/12.

⁷⁹ عمر بلخير، الخطاب تمثيل للعالم، عن دراسة بعض الظواهي التداولية في اللغة العربية ص 105.

ـ **فعل الإنجاز:** بعد تأكيد إبراهيم كفاءته الخطابية المرتبطة بالكفاءة الشاملة (النوبة) المستمدة من الوحي، والتي سمحت له بممارسة السلطة الخطابية يقول له: "فاتبعني"، وهذا ما يفرضه قانون الإخبارية دائماً، كونه يلزم المخاطب أن يعطي أكبر عدد ممكن من المعلومات التي تفيد المخاطب (الأب)، لكي يكون كلامه مفيداً شاملاً لذلك أتبع "فاتبعني" بما سوف ينتج عنه وهو الهداية إلى الصراط السوي، ليصبح الأمر بعد ذلك دعوة واستمالة واستدراجاً، قد تدفع الأب إلى التساؤل عن طبيعة هذا الطريق السوي فيستجيب، لذلك شحن الخطاب بالمشاعر العاطفية،⁸⁰ وفي هذا يقول أرسطو "إنّ عامة الناس يتأثرون بمشاعرهم أكثر ممّا يتأثرون بعقولهم، فهم في حاجة إلى وسائل الأسلوب أكثر من حاجتهم إلى الحجّة فلا يكفي إذن أن يعرف المرء ما ينبغي أن يقال بل يجب أن يقوله منا ينبغي"⁸¹ لذلك فالمتكلم كان حكيماً في انتقاء الألفاظ التي لها وقع عميق على المتكلم، ولا تشعره بالمهانة والاحتقار، فتأمل كيف أن كلمة (يا أبت، الهداية، والسوي) في منتهى اللطافة وتوحي بحب الابن لوالده وحرصه على نجاته من غير تعنيف، وهي كلها دعائم حجاجية لاستمالة المتلقي ولتسريع الاستجابة، وهذا غاية الانجاز.

ـ **فعل التأثير:** تلخص عبارة "اهدنا صراطاً سوياً" أقصى ما يمكن أن تحتويه كلمة كالهداية والصراط السوي، من معان تجنّب إبراهيم إعطاءها في هذه العبارة على حدّ الإفادة، وهذا شأن قانون الشمول الذي يعطي للمخاطب قدرة على استنتاج معان مختلفة ودلالات قد لا يظهرها صريح الخطاب، لذلك نجد قانون الإخبارية وقانون الشمول يخضعان كلية لقانون الإفادة، وهي تسير وفق النسق التالي، "يجب إعطاء الخبر بأقصى ما يحتويه من معلومات ولكن في حدود الإفادة مع تجنّب إعطاء كل شيء لأنه قد يؤدي إلى إحداث أضرار لا حاجة للمتخاطبين بها"⁸² إذ أنّ الفعل الانجازي الموجه إلى الاتباع المختوم في نهاية الآية بالهداية، والموسوم بالسوي حقق تناظراً مع الأمر بالاتباع وكشف عن الخيبة والخسران في حال العصيان، فلا يقابل السوي إلا المعوج، وضد الهداية الضلال، وهل هناك حجّة أبلغ من هذه تحمل المتابعة والخضوع للأمر.

⁸⁰ ينظر: سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، ص 56.

⁸¹ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 88.

⁸² عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في منظور نظر التداولية، ص 107.

4_ **الخوف:** يقول تعالى: "يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان فتكون للشيطان ولياً"، إن مضمون فعل القول هنا هو الخوف أو وقوع العذاب على والده، حيث ألقى إليه حجة لاثقة بالمتصلين بالضلال، والتعبير بالخوف في قول إبراهيم "إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمان" يدلّ على الظنّ دون القطع بأن لا يثبت أمرًا فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان⁸³

_ **الفعل القضوي:** ولقد كان مقصد المتكلم الذي هو إبراهيم بفعل القول (أخاف) التخويف، فهو لأنه لم يكن آيساً من إيمانه بل كان راجياً له وخائفاً أن لا يؤمن وأن يتمادى على الكفر فيمسه العذاب وخوفه إبراهيم سوء العاقبة، وتأدب معه، إذ لم يصحّ بلحوق العذاب به، بل أخرج ذلك مخرج الخائف، وأتى بلفظ المس وهو اللطف من المعاقبة، ونكر العذاب، ورتّب على مسّ العذاب ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان، وصدّر كل نصيحة بقوله (يا أبت) توسلاً إليه واستعطافاً⁸⁴ فلما بين له بذلك أنه عاص خوفه من إزالته لنعمته⁸⁵ وقد أدرجت كرابط الفعل (خاف) ضمن الأفعال الذاتية⁸⁶ ولسان حاله يقول: يا أبت انتّه عما أنت عليه من الشرك وعبادة الأصنام، ولذ بالواحد الأحد تسلم.

_ **فعل الإنجاز:** وفعل (خاف) من أفعال العواطف أو الأحاسيس التي تعبر عن تقويم عاطفي وأخلاقي، إيجابي أو سلبي، يعبر الفعل "خاف" هنا عن تقويم عاطفي وأخلاقي سلبي للعذاب بوصفه موضوعاً غير مستحسن ويتلبّس هذا التقويم ببعد حجاجي إقناعي، ذلك أنّ سيدنا إبراهيم يروم من وراء هذا التقويم إقناع القوم وآزر بوجوب العذاب، وتجنب كل الأسباب المؤدية إليه وبخاصة الشرك⁸⁷ فاستشعار الطاقة الموجهة من الفعل (خاف)، تمثل قوة ردع في إحجام المتلقي عن الحال التي هو عليها، ولا يتم ذلك إلا إذا كان المتلقي على استعداد لقبول الحجة. وكلمة الرحمن هي من صفات الله تعالى واختار وصف "الرحمن" تنبيهاً على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله فتفضي إلى الحرمان من رحمته فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يتبع⁸⁸

⁸³ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص 118.

⁸⁴ ينظر: محمد بن يوسف، البحر المحيط، 183/6.

⁸⁵ برهان الدين البقاعي، 212/12.

⁸⁶ سعدية لكحل، 56.

⁸⁷ عائشة هديم، إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم - خطاب بعض الأنبياء نموذجاً - ص 82-83.

⁸⁸ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 116/16.

_ **فعل التأثير:** المعاندة والمكابرة كانت حاضرة من المتلقي، فلم يستمله الترغيب والتلطف من قبل، كما لم ينجع معه التهديد والتخويف. وللكلمة شحنة حجاجية، ولكنه لم يصرح بأن العقاب لاحق به بل قال: "إني أخاف يمك عذاب من الرحمان" وهذا يقوي الحجاج بسبب عرضه لمعتقد هو بمثابة المقدمة التي يبنى عليها المحاجة كلها "فذكر الخوف والمس وذكر العذاب نفسه أعظم"⁸⁹ وتوظيف مفردات بعينها كانت لها طاقة حجاجية، ساهمت في عملية التأثير والإقناع.

5_ **الغضب والتحذير:** قال تعالى: "قال أرأغب أنت عن آلهي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا" وتستمر المحاجة، وينتقل طرف الحوار إلى الوالد، مستفتحا باستفهام إنكار، والرغبة عن الشيء تركه عمدا، وآلهته أصنامة، وأغلظ له في هذا الإنكار، وناداه باسمه، ولم يقابل يا أبت بيا "بني"، ولما أنكر عليه رغبته عن آلهته توعده مقسما على إنفاذ ما توعده به إن لم ينته ومتعلق ينته محذوف، واحتمل أن يكون عن مخاطبتي بما خاطبتني به ودعوتي إليه، وأن يكون (لئن لم تنته) عن الرغبة عن آلهي (لأرجمنك) جواب القسم المحذوف قبل (لئن)، لأرجمنك تهديد وتقريع⁹⁰

_ **الفعل القضوي:** يقول الرازي: "اعلم أن إبراهيم عليه السلام لما دعا أباه إلى التوحيد وذكر الدلالة على فساد عبادة الأوثان، وأردف تلك الدلالة بالوعظ البليغ أورد كل ذلك مقرونا باللطف والرفق قابله أبوه بجواب يضاد ذلك، فقابل حجته بالتقليد، فإنه لم يذكر في مقابلة حجته إلا قوله: "أرأغب أنت عن آلهي يا إبراهيم" فأصر على ادعاء إلهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم، وقابل رفقه في قوله "يا أبت" بالعنف حيث لم يقل يا بني بل قال: "يا إبراهيم" فأصر على ادعاء إلهيتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم، وقابل رفقه في قوله: "يا أبت" بالعنف حيث لم يقل يا بني بل قال: "يا إبراهيم"⁹¹ ومقصوده تعظيم الآلهة والتحقير من إبراهيم ودعواه، وقد دلّ النظم على هذا القصد في قوله (أرأغب) قدم الخبر لشدة عنايته والتعجيب من تلك الرغبة والإنكار لها، إشارة إلى أنه لا يفعلها أحد، ثم صرح له بالمواجهة

⁸⁹ جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، 24/4.

⁹⁰ ينظر: محمد بن يوسف، 183/6.

⁹¹ الرازي فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، 11/194.

بالغلظة فقال (أنت) وقال (عن آلهي) بإضافتها إلى نفسه فقط، إشارة إلى مبالغته في تعظيمها⁹²

_ **فعل الإنجاز:** الاستفهام هنا للإنكار، إنكارا لتجافي إبراهيم عن عبادة الأوثان ردّ آزر سلطويا ينطلق من موقع الشعور بسلطة الأب التي تضغط على الابن، فلا يعبر أبدا عن علاقة إنسان بنبي وإنما أب بابنه إذ قال "لئن لم تنته..." مهيدا إياه بالرجم والهجران، وما يؤكد تلك الحقيقة اتيانه بالقسم تأكيدا لكونه راجمه إن لم ينته عن كفره بآلهتهم⁹³

فيكون الفعل الإنجازي المتوقع من الوالد لولده هو الرجم إن لم يبعد عن ساحته. ولما كان في قوله (لأرجمنك) فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلام، والأمن ووعدته بالاستغفار قضاء لحق الأبوة، وإن كان قد صدر منه إغلاظ، ولما أمره بهجره الزمن الطويل أخبره بأنه يتمثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم⁹⁴ _ **فعل الأثر:** إن رفض آزر مبدأ التقارب وتغاضيه عن العلاقة العائلية التي تربطه بسيدنا إبراهيم عليه السلام أدت في النهاية بالعلاقة إلى التباعد. وما مخاطبته باسمه إلا تكريس لذلك التباعد. فكان من آثار هذا الغضب التعصب للباطل وعى بصيرة الحق، هو التوعد بالرجم من الوالد للولد إن بقي متمسكا بدعوته وفي وسطه، أو الهجر وقطع أي حبل للمعاشرة تحقيرا من شأن إبراهيم وما جاء به، ووصف الهجر ب(مليا) وهو الزمن الطويل يكشف عن ذلك الجفاء العاطفي من الأب تجاه والده، وإن هذا الفعل الإنجازي أكد على الحال التي كان يعانها الأنبياء مع أقوامهم والأقربين، فالرجم والهجر والمقاطعة والنفي وما إلى ذلك تكشف عن وثنية عقول المخاطبين وإنّ الحجاج معهم اتخذ ضربا من المعقولية الممزوجة بالتلطف والأسلوب الحسن، طلبا لاستمالتهم، غير أن الغضب للباطل كان سيد الموقف.

إن هذه المخاطبة تطرح تعارضا بين سيدنا إبراهيم وأبيه آزر من خلال اختلاف مقصد كل منهما كما أنّ التعارض الحجاجي بين المخاطبين طرح تعارضا في اللغة حين سجل إبراهيم تعالىا ورقيا في معجمه بقوله: "سلام عليك سأستغفر لك ربي" ردا على معجم أبيه الذي توعد بالرجم حين قال:

⁹² برهان الدين البقاعي، 212/12.

⁹³ ينظر: الطاهر بن عاشور، 120-117/16.

⁹⁴ ينظر: محمد بن يوسف، 185/6.

"لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا"، وتحقق بذلك لفظة "اهجرني" ولفظة "اعتزلكم" التباعد الذي لا رجوع فيها⁹⁵

فكانت حجة إبراهيم هي حجة الله، ولأجل ذلك قال الله: "وتلك حجتنا أتيناها إبراهيم". قد عكست هذه المحاجة واقع عقلية الجاحدين الذين يجادلون بغير حق وكأنها محاكمة تنتصر فيها قوة الفعل وليس قوة القول (الحجة)⁹⁶

خاتمة:

نظرية الأفعال الكلامية هي من النظريات اللسانية الغربية، والتحليل الذي اتبعناه في البحث بناء على ما تمّ التنظير له بخاصّة من قبل (أوستين) و(سيرل)، وإنّ تطبيق هذه النظرية على النصوص القرآنية، بحيث يساعدنا في استقراء معان خفية وتعمق في فهم كتاب الله، لهي نظرية موضع تقدير وعناية، بإعطائها مزيد اهتمام وتطبيق من أجل فهم واسع للنصوص القرآنية.

ومن النتائج التي يحيل إليها البحث:

_ أهمية الأفعال الكلامية كآلية حجاجية تحليلية، موظفة في استقراء المعنى انطلاقاً من السياق التداولي الذي وردت فيه.

_ الخطاب الحوارى للنبي إبراهيم، هو عبارة عن مجموعة من الأفعال الكلامية احتضنت حواراً وقضايا عقائدية، تضافرت الوسائل اللغوية في إبلاغها بتوظيف المتاح والممكن من الآليات والأساليب.

_ الأفعال الكلامية غير المباشرة (الضمنية) كانت حاضرة بقوة، مقارنة بالأفعال المباشرة (الصريحة)، وقد يحمل ذلك على أن طبيعة الخطاب القرآني طبيعة حجاجية تأثيرية، وأن التلميح أبلغ من التصريح في تبليغ المقصود.

_ تعدد القوة الإنجازية للفعل الكلامي في الوقت نفسه في النص القرآني، فقد لا حظنا وجود أفعال إنجازية مستنبطة من البنى اللفظية ذاتها، وأخرى أحال عليها السياق بقرائن وشواهد معنوية ولغوية.

⁹⁵ سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم، ص 53.

⁹⁶ سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم، ص 72.

- _ كشفت لنا نظرية أفعال الكلامية بأقسامها وشروطها ومستوياتها وبعدها الإنجازي والحجاجي عن وجه الإعجاز في البلاغة القرآنية التي لا يمكن معارضتها أو مقارعتها.
- _ اتضح لنا جلياً أنّ لأفعال الكلام قوة فاعلية حجاجية كبيرة، خصوصاً فعل التأثير والحجاج، إذ أن غاية الحجاج هي الإقناع وكان ذلك فضاء مشتركاً مع الفعل الإنجازي واللغوي.
- _ إنَّ استثمار نظرية الأفعال الكلامية في تحليل الخطاب القرآني ساعدنا على التعرف على بنية الفعل الكلامي في النص القرآني، والوقوف على مكوناته.
- وأخيراً كتوصية أختتم بها، فإني قد وقفت على تحليل نماذج، والبحث لأزال مفتوحاً لاستثماره وتوسيعه بشكل أكبر، خصوصاً نظرية أفعال الكلام الجديدة بدراستها وتطبيقها على باقي النصوص القرآنية لفهم واسع وأشمل.

قائمة المراجع:

01. ابن رشد، تلخيص كتاب الجدل، تج: تشارل بيزون- أحمد عبد المجيد هريدي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م
02. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة الوظيفي، الدار البيضاء، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط.1، 1986م.
03. إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين، 1407هـ- 1987م.
04. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي.
05. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط.1، القاهرة، شمس للنشر والتوزيع.
06. جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت، دار الفكر، 1979م
07. جان سيرفوني، الملفوظية، ترجمة: قاسم المقداد، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، 1998.
08. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، ط.3، لبنان- بيروت، دار صادر، 1414هـ
09. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط.1، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، 2009
10. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، الجزائر، دار القصة للنشر، ط.2، 2006م.
11. الرازي فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، دار الكتب العلمية.
12. زكرياء أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1399هـ- 1979م..
13. زين الدين محمد بن عبد الرؤوف بن المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، القاهرة، عالم الكتب، 1410هـ- 1990م.
14. سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط.2، إربد- الأردن، عالم الكتب، 1432هـ- 2011م
15. سلدن رامن، النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة: جابر عصفور، مصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996.
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط.32، 1423هـ- 2003م.
16. شكري مبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، جامعة منوبة، تونس، منشورات كلية الآداب.
17. شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (مؤسسة الرسالة).
18. طه عبد الرحمان، التواصل والحجاج، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - منتديات سور الأزيكية www.booksEall.nett .
19. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط.1، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1998م.
20. عائشة هديم، إستراتيجية التفاعل القولي في القرآن الكريم - خطاب بعض الأنبياء نموذجاً- رسالة ماجستير.
- عبد الحق صلاح إسماعيل، التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، ط.1، بيروت- لبنان، دار التنوير، 1993م.
21. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، المغرب، إفريقيا الشرق.

22. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقارنة تداولية، ط.1، بيروت- لبنان، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004م.
23. عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجة للخطاب الفلسفي، ط.1، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون- منشورات الاختلاف، 2009م.
24. عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في منظور نظر التداولية، الجزائر، منشورات الاختلاف، 2003.
25. فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، مكتبة الأسد.
26. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ط.2، عمان- الأردن، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1989م.
27. مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي، ط.1، لبنان، منشورات الضفاف، 1436هـ-2015م.
28. محمد التومي، الجدل في القرآن الكريم، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، باب الواد- الجزائر، شركة الشهاب للنشر والتوزيع.
29. محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر، 1984.
30. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، الدار البيضاء، دار الثقافة، ط.1، 1986.
31. محمد بن يوسف (أبو حيان الأندلسي)، البحر المحيط، ط.1، لبنان، دار الكتب العلمية، 1413هـ-1993م.
32. محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة- بحث في بلاغة النقد المعاصر، ط.1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، يونيو 2008.
33. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية قراءة أخرى، ط.1، مصر، الشركة العالمية للنشر ولونجمان، 1997م.
34. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2002.
35. محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، ط.1، الرياض، مكتبة العيكان، 1418م-1998م.
36. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ط.1، بيروت- لبنان، دار الطليعة، 2005.
37. سعدية لكحل، الحجاج في خطابات النبي إبراهيم عليه السلام، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري تيزي وزو.
38. محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن (سورة البقرة) دراسة تداولية، رسالة دكتوراه، الجزائر، 2013-2014.
39. عمر بلخير، الخطاب تمثيل للعالم، عن دراسة بعض الظواهر التداولية في اللغة العربية، رسالة ماجستير، الجزائر.
40. حمدي منصور جودي، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، الجزائر، ع.1، ديسمبر 2013.
41. محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، مصر، المجلد 9، العدد 60، رجب 1426هـ- سبتمبر 2005، ص 242.